ذاكرة عراقية

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

العدد (1404) السنة السادسة الاثنين (5) كانون الثاني 2009

قصة الانقلاب الثاني في العراق

خيوط التدبير امتدت من معسكر الغزلاني الى معسكر الوشاش

ضمن مقالتهِ المتميزة عن تاريخ العراق نشر الباحث الراحل محمود شبيب عام 1976 مقالاً عن الانقلاب العسكري في العراق : ذاكرة عراقية تعيد نشر مقاله ليطلع عليه القارئ

منذ الأيام الأولى لوقوع الانقلاب الذي قاده بكر صدقي في التاسع والعشرين من الشهر الحادي عشر لسنة ١٩٦٣ بات واضحا ان السلطة الحقيقية تركزت في يد الفريق الذي تولى مركز رئيس أركان الجيش برغم تسلم صديقه وحليفه حكمت سليمان رئاسة الوزارة مساء نفس اليوم ومن الطبيعي ان تبرز عدة جهات مناهضة ومعادية للانقلاب ومدبريه وان اختلفت دوافعهم الا انهم اتفقوا على إسقاط وزارة حكمت والانتقام من المدبرين والمحرضين بيد ان المسئلة الأساسية كانت تدور حول كيفية القضاء على بكر بالذات ومن ثم يكون المجال واسعا لتبديل الوضع بأكمله.

البداية في الموصل

وبغض النظر عن التفاصيل فقد وصل الفريق الى الموصل يوم ١٥ اب ١٩٣٧ وأمضى ليلته فيها وهنا قرر الضباط المبعدون من قبله وفي مقدمتهم العقيد فهمي سعيد. ان النهاية قد اقتربت ولا بد من الحسم على ان يترك الباقي المقيمين في بغداد لاتخاذ الخطوة التالية كانت قوات منطقة الموصل بقيادة اللواء أمين العمري ولا يوجد ما يشير الى انه كان من جملة المخططين لعملية الاغتيال بيد ان المقدم عزيز يا ملكي يقول انه قام شخصياً بإشعاره بذلك انه أبدى موافقته على تنفيذها موجها للنصح للقائمين بها بوجوب اخذ الحيطة والحذر وعلى أية حال فما ان وقع حادث الاغتيال مساء الحادي عشر من اب حتى قامت قيامة المسؤولين في بغداد وفي مقدمتهم حكمت وصدرت الأوامر الى العمري باعتقال جميع الذين لهم يد في العملية وإرسالهم مخفورين الى العاصمة.

سلاسل الحديد على منصة البليارد

على الرغم من ان العمري بادر بالفعل الى القاء القبض على الضباط ومنهم فهمي سعيد الا انه ارتأى بعد استشارة مختلف أمري الوحدات ان يتوجه المجلس العراقي الى الموصل لإجراء المحاكمة فيها وكان الخطأ الجسيم الذي وقع فيه المسؤولون في بغداد انهم بعثوا نائب الأحكام العسكرية الى الموصل لاستجواب الضباط المتهمين وجلبهم الى بغداد وقد حمل هذه معه سلاسل حديدية ليكبل بها هؤلاء فلما استقربه الامر في الحامية وضع السلاسل على منصة البليارد وشرع في السب والشتم واذا بالضباط يقررون اعتقاله فاخذ يولول ويبكي فتركوه لحال سبيله ..

وهنا اجتمع امراء الوحدات وقالوا للعمري انهم لا يوافقون على إرسال أخوانهم الى بغداد ليقتلوا فقد راجت إشاعة في حينها ان القوم قرروا الفتك بهم في الطريق وبلغ الامر بالعقيد فهمي انه هدد أمر الحامية بأنه سيقول انه هو المسؤول عن عملية قتل بكر صدقي فلما بلغ الامر ذلك استمهلهم العمري وبعد ان اتصل بوكيل المتصرف جلال خالد اصدر أمره بتوقيف نائب الأحكام العسكرية ثم أذاع بياناً أعلن فيه انفصاله عن حكومة بغداد.

تحذير

وبعد ان أذاع أمره بمنطقة الموصل بيانه الأول أعقبه ببلاغ اخر جاء فيه ما يلي ان حكومة اللواء قبضت على المظنونين بالتهم وقدمتهم الى التحقيق ولكن الوزارة ومن ورائها بعض ذوي المأرب أبو الانكية الجيش بالأكثرية من ضباطه فكررت حكومة اللواء النصيحة فلما أصرت الوزارة على الطلب الجائر هناك دقت ساعة العمل وأعلنت حكومة اللواء انتفاضها على هذه الوزارة وتود حكومة الموصل ان يكون ملحوظاً عند العموم انها ستعد كل من يحاول الخروج عن طاعتها ويخل بالأمن العام والواقع ان العمري بعث ببرقية سرية الى الملك غازي تتضمن عدة مطالب منها.. الأول استقالة الوزارة السليمانية لانها وزارة أتت الى الحكم بالقوة والثاني.. تأليف وزارة جديدة برئاسة جميل المدفعي والثالث عدم إجابة طلب الوزارة في تسليم قاتل بكر صدقي وجميع المتهمين في هذه القضية في الوشاش فالحقيقة فان حكمت الذي أصر على ان حادث القتل كان فرديا وأعوان بكر أنفسهم لم يروقهم هذا الوضع لذا سرعان ما برزت فكرة الزحف على الموصل سوى من كركوك حيث توجد الفرقة الثانية بقيادة الزعيم العميد أمين زكي او من بغداد التي تتمركز قوتها الضاربة في معسكر الوشاش.. متنزه الزوراء حالياً ولم تكن تطورات المسئلة غائبا عن ذهن العمري وأعوانه من الضباط الذين قدموا على اتخاذ تلك الخطوة الخطرة فقرر الاتصال بأمري الحاميات في الحلة والديوانية وكركوك والسليمانية شارحا لهم الخطة العامة التي وضعت حامية الموصل ومقرها معسكر الغزلاني وان أي تأييد لحكومة السليمان سيؤدي الى الحرب الأهلية فأبدى كل هؤلاء تأييدهم التام لما قام به ودعمهم للطلبات التي اشرنا اليها والتي وردت في برقيته السرية الى الملك غازي.

تأييد الموقف

وبعد امتناع أمين زكي عن القيام بأي إجراء يستهدف الزحف الى الموصل انتقل مفتاح الموقف بأسره الى بغداد وبالتحديد الى معسكر الوشاش والعقيد سعيد التكريتي امر المعسكر وامر اللواء الثالث المرابط فيه واستنادا الى أقوال العقيد سعيد التكريتي التي وردت في جريدة الموصل بانه لم يكن على علم بمحاولة قتل صدقي والإطاحة بوزارة السليمان الا ان الثابت ان عدد كبيرا من الضباط ونهم المقدم العقيد فيما بعد صلاح الدين الصباغ كان لهم الضلع الكبير في الموضوع خاصة اذا أخذنا بنظر الاعتبار ان الصباغ كان عضوا في الكتلة القومية التي تضم فهمي سعيد وغيره وانه يأتي في المرتبة الثانية مباشرة بعد سعيد التكريتي في المعسكر المذكور.

تأييد حاسم وعلى الرغم من عدم اتصال العمري بالأخير بسبب غير مفهوم حتى الان الا ان الأوضاع في معسكر الوشاش تطورت بشكل لافت للنظر فبعد مقابلة العقيد مع مدير الحركات في وزارة الدفاع عاد ادراجه الى المعسكر وجمع كبار الضباط الذين قرروا عدة أمور منها ما يلي:

١- الجيش وحدة لا تتجزأ ونؤيد مطالب قوات الموصل.

٢- أبعاد بعض الضباط من مناصبهم الحالية ويقصد بهم أعوان بكر صدقي وإحلالهم في مناصب أخرى ثانوية، وكان حكمت قد بعث برقية الى جميل المدفعي رئيس الوزراء السابق والذي لجأ الى الشام في أعقاب الانتقاد الحاد الأول لمجلس النواب ليلتمس منه العودة الى بغداد لتولي منصب وزير الدفاع الشاغر بعد ان عهد الى الفريق عبد اللطيف نوري برئاسة أركان الجيش عقب مقتل بكر وبالفعل عاد المدفعي الى العاصمة متوجها من فوره الى معسكر الوشاش حيث وجد كبار الضباط بانتظاره وبعد نقاش طويل واخذ التعهدات منهم بان يواصلوا السير في السياسة التي نشأ عليها ياسين الهاشمي اتفق الجميع على ان أيام وزارة حكمت قد انتهت وان عليه الاستقالة بعد ان كابد التعب على حد قوله وهذا ما تم في الفعل في السادس عشر من آب عام ١٩٣٧ وأصبح المدفعي رئيساً لوزراء العراق للمرة الرابعة ولكن ليطيح به الانقلاب الثالث الذي سنأتي على ذكره فيما بعد.

بكر صدقي مع بعض اعوانه

بكر صدقي

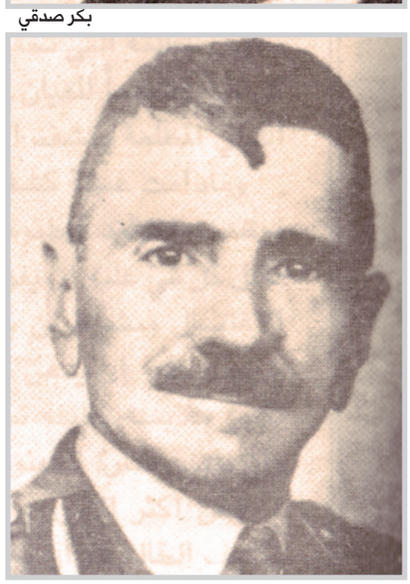

امين العمري

عبد الكريم قاسم يأمر بجلب مسجل يحوي المقامات العراقية لمجلس الوزراء

صلاح الدين سلمان

اعتادَ المرحوم عبد الكريم قاسم على عقد جلسات مجلس الوزراء في مقره بوزارة الدفاع بعد الثامنة مساء حيث يتوافد الوزراء تباعا في البهو الخاص قبالة غرفة وزير الدفاع حيث ان الوزير له دوام صباحي في وزارته، إضافة للدوام المسائي الإضافي لتصريف شؤون الوزارة الإدارية لتراكم الأعمال بسبب التغييرات التي طالت وزارات الدولة بعد الثورة وتغير بعض الإدارات القديمة بوجوه جديدة تؤمن بالثورة وبالتالي تكون قادرة على تنفيذ قراراتها.

ولذلك لم يبق من الوقت لاجتماع مجلس الوزراء سوى المساء النصف الأول من الليل.

كانت القاعة التي يعقد فيها اجتماع مجلس الوزراء تحوي مائدة كبيرة وعلى كراسي كافية للوزراء حيث يبدؤون في إشغال مقاعدهم بين الساعة الثامنة مساء والتاسعة منتظرين مجيء الزعيم ببزته العسكرية، وأحياناً يتأخر مجيئه حتى الساعة الحادية عشرة ليلاً لانشغاله هو أيضاً بتصريف بعض الأعمال المتعلقة بالدفاع او ممثلي التنظيمات المهنية او مراسلي الصحافة وغيرهم او بمقابلة بعض السفراء وبالتالي يتأخر وقت الاجتماع وما يتبع ذلك من ارق وانتظار للوزراء وخاصة المتقدمين بالسن والمتعبين كالأستاذ مصطفى علي ومحمد حديد وبعض الوزراء غير المعتادين على السهر.

فرأى الزعيم ان يجلب جهاز تلفزيون ليتمتع الوزراء بالمشاهدة وقت الإنتظار كذلك جلب مسجل صوت كهربائي و(شريطاً) للمقامات العراقية التي سجلت أثناء مؤتمر الموسيقى الشرقية الأول في القاهرة حيث ضم العازفين من (الجالقي البغدادي) كما ضم التسجيل صوت الموسيقار العراقي الشهير (محمد القبانجي) صاحب الأداء الرصين للمقام العراقي.

كان طعام الليل العشاء هو عبارة عن (كباب او تكة مع الخبز) من مطعم الجنود في وزارة الدفاع يقدم أثناء الاجتماع مشفوعا بقدح شاي. وأحياناً يبقى الى الصباح وبعد سماع اذان الصباح من مسجد وزارة الدفاع او المساجد المجاورة حيث تجلب باقلاء بالدهن الحر عليه البيض وهي أكلة بغدادية قديمة متداولة عند الناس في الصباح من احد المحال المجاورة لوزارة الدفاع يقول الوزير عبد اللطيف الشواف ان احد المسؤولين الاقتصاديين بالسفارة الروسية في بغداد سأله عند لقائه في موسكو عام ١٩٦٤ عما اذا كان مجلس الوزراء ما يزال يعمل ويعقد اجتماعاته في الليل والى ساعة متأخرة فأجابه الشواف ان الوضع قد تغير الآن بعد الانقلاب الذي حدث في ٨ شباط ١٩٦٣ فأجاب السفير اننا في موسكو كنا نسهر الى الصباح في زمن ستالين عندما كانت اجتماعات المجلس متعبة فأقلعنا عنها وجعلنا الاجتماعات نهارية بعد ان عانينا لمدة أربعين عاماً.

ويبدو ان الزعيم الراحل كان معتاداً على طبيعة العمل في الليل من خلال عمله في المعسكرات حيث يطيب العمل الليلي لاعتدال المناخ على عكس النهار المشمس الحارق.

ان كثيرا من القوى الحاقدة والإذاعات المأجورة كانت تصور عمل الزعيم ومجلس الوزراء المسائي هو خوفه من الانقلابات إرضاء لنفوسهم المريضة غافلين عظم المسؤوليات واعتياد الزعيم حتى قبل توليه المسؤولية على تمشية اعمال فرقته ومعسكره مساء وعلى كل حال فقد كان هذا الوضع صعبا على بعض الوزراء وعلى بعض مرافقيه حيث كان الزعيم يفاجئ الحاضرين في المجلس بوضع يديه على وجهه لمدة دقائق مغطيا عينيه كما لو كان غافيا ليأخذ قسطاً من الراحة هو في أمس الحاجة اليها وتلك حاجة بيولوجية، ولا تخلوا هذه الاجتماعات المتأخرة الى الهزيع الأخير من الليل آثاراً سلبية، اذ بالكاد يتم انجاز البت في البرنامج الإداري للمجلس كالايفادات، والترفيعات والتعيينات والمخصصات، اما المهام التشريعية والمصادقة على مشاريع القوانين والأنظمة والتقارير الهامة فكان التأخير يلحقها من جلسة الى أخرى وكان ذلك يؤدي الى التأخير في العمل الحكومي لاسيما تشريع القوانين التي هي حصراً من اختصاص مجلس الوزراء لعدم وجود مجلس تشريعي بموجب الدستور المؤقت.

فعلى سبيل المثال قانون (ادارة البلديات) الذي وضع الدكتورة نزيهة الدليمي وزيرة البلديات مشروعه الأول على أهميته البالغة في الوضع السياسي والإداري في العراق في المراحل الأولى من التغيرات التي أحدثتها الثورة قد استمرت قراءة بعض منه كل جلسة الى ان استبدلت الوزيرة الدليمي والوزير الأستاذ عباس البلداوي ثم تأخر الى ما بعد انقلاب رمضان ٦٣، حيث تبدلت منطلقات القانون وأهدافه ومبادئه التي وضعتها الدكتورة نزيهة الدليمي ودرسها معها الدكتور صفاء الحافظ بروح ديمقراطية تقدمية.

ولهذا السبب فقد كانت القرارات السهلة كما قلنا ذات الاختيارات التي لا تنطوي على مسؤولية سياسية تصدر وتنفذ أولاً.

وكان هذا عاملا سلبيا حقا على حكومة المرحوم عبد الكريم قاسم وهذا طبيعي حيث ان المسؤوليات اكبر وأكثر من طاقته وفي ظل تصارع قوى الجبهة يمين ويسار قوميين وبعثيين وشيوعيين وديمقراطيين صراعاً أضاع الجمهورية وقائدها والعراق من بين أيديهم.. فهل يكون هذا درساً لأحزاب اليوم؟

اضاءات من تأريخ المعاهدة العراقية-البريطانية ١٩٤٨ (بورتسموت)

محمد ابراهيم محمد

لقدّ كانت لهذه المعاهدة والتوقيع عليها بتاريخ الخامس عشر من شهر كانون الثاني ١٩٤٨ ردود فعل قوية داخل العراق وخارجه وسميت بمعاهدة (بورتسموث) نسبة الى المدينة التي وقعت فيها المعاهدة وسميت كذلك بمعاهدة (جبر-بيفن) اما من ناحية بنود هذه المعاهدة فقد تضمنت عدة مواد رئيسة ومنها هي ضرورة تسليح الجيش العراقي والقوة الجوية بنفس أسلحة القوات البريطانية وعدم السماح لإبقاء قوات مسلحة بريطانية في العراق في زمن السلم وتسليم القاعدتين الجوية البريطانية في (الحبانية التي تقع غرب الفرات والشعبية في البصرة) الى العراق وان تلغى البعثة العسكرية البريطانية التي يرأسها الفريق البريطاني (رنتن) وان يقوم مجلس بريطاني عراقي مشترك بتطوير الخطط الستراتيجية وتوحيد التجهيزات والمعدات العسكرية بين الجيشين العراقي والبريطاني وان تقوم القوة الجوية البريطانية بتقديم المساعدات لتدريب أفراد القوة الجوية العراقية في الخارج وان يتم توفير احدث انواع السلاح للعراق. بدأت المباحثات في الثامن من مايس ١٩٤٧ بين العراق وبريطانيا وقد ضم الوفد العراقي الذي ترأسه صالح جبر رئيس الوزراء ووزير الدفاع شاكر الوادي ورئيس أركان الجيش صالح صائب الجبوري والعقيد الركن عباس علي غالب سكرتيرا ومترجما وضابط ركن الحركات الرئيس الأول والرائد احمد محمود الجنابي وقد مثل الجانب البريطاني وفد عسكري برئاسة مارشال الجو (بريان بيكر) وعضوية نائب مارشال الجو (كراي) واللواء (كرتس) والرائد (يوناك) وانضم الى الوفد أيضا رئيس البعثة الاستشارية العسكرية البريطانية في بغداد الفريق (رنتن) والقائم بإعمال السفارة البريطانية في بغداد (دوكلاس يوسك).

بعد توقيع المعاهدة انتفضت الجماهير على المعاهدة وخرج الناس في الشوارع في تظاهرات حاشدة منذ اليوم السادس عشر حتى اليوم الحادي والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٨ واشترك فيها أهالي بغداد والطلاب وأعلنت الإضرابات في الدوائر الحكومية وفي الكليات والمدارس وفي المصانع ووقع هجوم على مبنى جريدة الأوقات العراقية التي تصدر عن شركة انكليزية في بغداد وتنطق بلسان السفارة البريطانية في بغداد وكانت المسيرات والاحتجاجات والمواجهات الدامية مع رجال الشرطة تملأ شوارع العاصمة بغداد وقامت الشرطة بفتح النار من أسلحتها الحقيقية على المتظاهرين واستشهد في حدود مائة شخص وقد زاد حدة السخط الشعبي على الحكومة آنذاك، وقد أطلقت هذه الأحداث التي حدثت في بغداد وفي جميع المدن العراقية (وثبة كانون) ولقد قوبلت المعاهدة باشد مظاهر الاستنكار وأثارت كوامن السخط وأدت الى سقوط وزارة صالح جبر أعقبتها وزارة محمد الصدر وقررت الغاء المعاهدة بعد مناقشات في مجلس الوزراء استمرت ثلاثة أيام (٣١ كانون الثاني - ٢ شباط ١٩٤٨) ولكن وزارة محمد الصدر لم تتمكن من أحداث تغير في مسار العلاقات مع بريطانيا التي بقي نفوذها السياسي والاقتصادي قويا في العراق.

من الجدير بالذكر ان هذه المعاهدة قد كتب عنها المؤرخون والكتاب والسياسيون ودونوها في مذكراتهم وأصدرت عنها عدة اطاريح ورسائل جامعية أرخت أحداثها ووقائعها التاريخية ومنهم على سبيل المثال (عبد الرزاق الحسني/ الدكتور فاضل حسين/ الدكتور علاء جاسم الحربي/ احمد مختار بابان/ الدكتور فاروق صالح عمر/ مزاحم الباجة جي/ خليل إبراهيم حسين/ خليل كنة/ عبد الرزاق الهلالي/ الدكتور محمد فاضل الجمالي/ حنا بطاطو/ توفيق السويدي/ وغيرهم).

الملك فيصل الثاني مع الملكة اليزابيث